

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه - من أحق الناس بحسن صحابتي؟

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب بر الوالدين وصلة الأرحام أورد المصنف -رحمه الله- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه- قال: ((جاءَ رجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟)) يعني: صحابتي -، قال: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُبُوكَ))^(١). متفق عليه.

وفي روایة: يا رسول الله، من أحق بحسن الصحابة؟، قال: ((أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ))^(٢).

فهذا الحديث يبيّن فضل الأم ومنزلتها، وأن الأم لها من الحق في هذا الجانب وهو حسن الصحابة ثلاثة أضعاف ما للأب، والمقصود بحسن الصحابة: حسن المعاشرة، والملاطفة، والإحسان والبر، وذلك أن الأم تحملت الحمل وألام الولادة، وكذلك أيضاً الرضاع والحضانة، كل هذا شقيت به وتعبت، والأب كذلك هو سبب في وجود الإنسان، وهو الذي يبذل ويتعب، ولكن الأم تحملت زيادة على ذلك هذه الأمور الثلاثة التي ليس للأب شيء منها، وهذا الإنسان حينما يكون في بطنه يعيش على دمها، وحينما يخرج تعانى الموت، وحينما يولد فإنها تقدمه على نفسها، وراحتته على راحتها، وتفرح لفرحه، وتتألم لألمه وحزنه، وإذا مرض مرضت معه، وإذا صار في المدرسة فكانها هي التي تدرس، وإذا اختبر كأنها هي التي تختبر، وهذا حتى يتم، ثم بعد ذلك تشقي بعياله من بعده، وتجد لهم ما تجد له، كل هذا يقع للأم، فالمعنى أنها أولى الناس، لكن هذا الحديث إنما هو في حسن الصحابة، ولهذا يقال: لو أنه تعارض أمر الأم وأمر الأب من الذي يقدم؟.

أبوه يقول: لا تفعل كذا، وأمه تقول: افعل كذا، في غير معصية الله -عز وجل-، أبوه يقول: اعمل بالمكان الفلاحي، وأمه تقول: اعمل في المكان الفلاحي، أبوه يقول: ادرس في الجامعة الفلاحية، وأمه تقول: ادرس في الجامعة الفلاحية، يطيع من؟.

من أهل العلم من قال: إن الأم مقدمة؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نكر حقها ثلاث مرات. ومنهم من قال: الأب، ونقل عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه سأله رجل فقال: إن أبي في السودان، والمقصود بالسودان القارة الإفريقية في ذلك الوقت، وإلى وقت قريب كان يقال لذلك: السودان، بلد السودان وما حولها، قال: إن أبي في السودان ويدعوني، يطلب مني أن أقدم إليه، وأمي تمنعني من ذلك، فقال الإمام

^١- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحابة، (٥٩٧١)، برقم: (٢/٨)، ومسلم، كتاب البر وصلة والأداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، (١٩٧٤/٤)، برقم: (٢٥٤٨).

^٢- أخرجه مسلم، كتاب البر وصلة والأداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، (١٩٧٤/٤)، برقم: (٢٥٤٨).

مالك رحمة الله:- أطع أباك ولا تعصِّ أمك، فمن أصحاب الإمام مالك من فهم من هذا أنه قصد أنه يطاع الأب فيما لا يكون معصية للأم، يعني: أن الأم مقدمة.

ومنهم من فهم أنه قدم طاعة الأب، والأقرب -والله تعالى أعلم- أنه في مثل هذه الأمور التي تتعلق بالتدبر فهي من شأن الولاية، والولاية إنما تكون للأب وليس للأم.

فهذا الحديث إنما هو في حسن الصحبة، فالذى يدبره هو أبوه، وليس أمه التي تدبره، فوليه الأب، فيجب عليه أن يطيعه في مثل هذه الأمور، إلا فيما يلحقه به ضرر أو يحصل له عنـت أو نحو هذا، فمثل هذه الأمور يحصل فيها التقاهم والملاطفة والإقناع وما أشبه هذا، لكن الذي يأمره وينهـاه فيما يتعلق بأموره الحياتية هو أبوه؛ لأنـه هو ولـيه، الأب هو الذي يطالـبه أن يدرس، يذهب به إلى المدرـسة، يدرس في هذه المدرـسة أو تلك، إلى آخرـه، أمه تقول: لا، أـريدـه أن يدرس في مدرـسة خـاصـة، ليس هـذا للأـمـ، إنـما هو للأـبـ، القرـار الأول والأـخـير للأـبـ، لماذا؟ لأنـه هو الـوليـ، أما في المعاشرـة والمـخـالـطة وحسنـ الصـحـبة فـالأـمـ ثـلـاثـةـ أـضـعـافـ الأـبـ بعضـ السـلـفـ: ما برـ أبيـهـ من مدـ إـلـيـهـماـ النـظـرـ.

هـذاـ جاءـ عنـ عـروـةـ بـنـ الزـبـيرـ رـحـمـهـ اللـهـ، يعنيـ يـجـلسـ يـنـظـرـ إـلـيـهـماـ، يـحـقـ فيـ النـظـرـ إـلـيـهـماـ، هـذاـ يـدـلـ علىـ أنهـ فيـ شـيءـ منـ دـعـمـ الـهـيـةـ وـدـعـمـ الـاـكـتـرـاتـ، فـكـيـفـ إـذـاـ كـانـ يـأـمـرـهـماـ: أـعـطـنـيـ كـذـاـ، هـاتـ لـيـ كـذـاـ؟ـ، هـذـاـ مـاـ يـلـيقـ، هوـ الـذـيـ يـقـومـ عـلـىـ خـدـمـتـهـماـ، وـشـئـونـهـماـ وـنـحـوـ ذـلـكـ.

فـنـسـأـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ: أـنـ يـرـزـقـنـاـ وـإـلـيـكـمـ الـبـرـ، وـأـنـ يـصـلـحـ قـلـوبـنـاـ وـأـعـمـالـنـاـ، وـأـنـ يـجـعـلـ ماـ نـسـمـعـ سـبـبـاـ وـسـبـبـيـاـ إـلـىـ مـرـضـاتـهـ، وـأـنـ يـجـعـلـهـ سـبـبـيـاـ إـلـىـ الـعـلـمـ بـطـاعـتـهـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ، وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ، وـآلـهـ وـصـحـبـهـ.